٤١

تجنب الردة من الكفر والشرك الأكبر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

١ «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ،

٢ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا،

٣ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(٢٧٢).

(٢٧٢) رواه مسلم (١١٨).

آيات

- ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].
- ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [التوبة: ٣٨].
- ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ، وحرَص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث، تُوفِّي بالمدينة سنة (٥٨هـ)(١).

خلاصة

يوجه النبيُّ ﷺ أُمَّته إلى المسارعة في عمل الخيرات قبل انتشار الفتن التي تُضِل الإنسان وتضعف إيمانه، فيَبِيت بين ليلةٍ وضحاها كافرًا، وقد كان الإيمانُ ساكنًا قلبَه.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يوجِّه رسول الله ﷺ المؤمنين إلى المبادرة إلى العمل الصالح، ويأمرهم **بالمسارعة** في أداء الطاعات والأعمال الصالحة قبل تكالُب الفتن واشتدادها على المسلمين، ويَصِف ﷺ تلك الفِتن بأنها سوداءُ مُظلِمة كقِطَع الليل، لا يُرى فيها حقٌّ من باطلٍ، وقد أخبر ﷺ أن الفتن تشتدُّ وتقوى مع اقتراب الزمان ودُنُوِّ الساعة، قال ﷺ: «وإنَّ أُمَّتَكُم هذه جُعِلَ عافِيَتُهَا في أَوَّلِها، وسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاءٌ، وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها، وتجِيءُ فِتْنَةٌ فيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وتَجِيءُ الفِتْنَةُ فيَقولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذِهِ هذِه»(٢٧٣).

وإنَّمَا حثَّ النبيُّ ﷺ على المبادرة بالأعمال قبل وقوع الفتن وفُشُوِّها؛ لأن العبادةَ في زمن الفتن تكون شاقةً على النفس؛ لانشغال الناس بالفتن التي تثبِّط عن العمل، ولهذا قال ﷺ: «العِبَادَةُ في الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(٢٧٤)، وقال ﷺ: «يَأْتِي على النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كالقَابِضِ على الجَمْرِ»(٢٧٥).

٢ ثم أخبر النبي ﷺ أنَّ تلك الفِتَن شديدة الفتْك بالمرء؛ حيث تدركُ المسلمَ فتَصدُّه عن دينه سريعًا، فكأنما فتنَته في عشيَّةٍ وضحاها؛ «لأن القلوب كثيرة التقلب من رِبقة الحق، شديدة التطلُّع إلى منافذ الضلال، فإذا قُذف في رُوعها شيءٌ من المُضَلِّلات وجد عندها داعً قاتلًا وشرًّا مُستعدًّا»(٢٧٦).

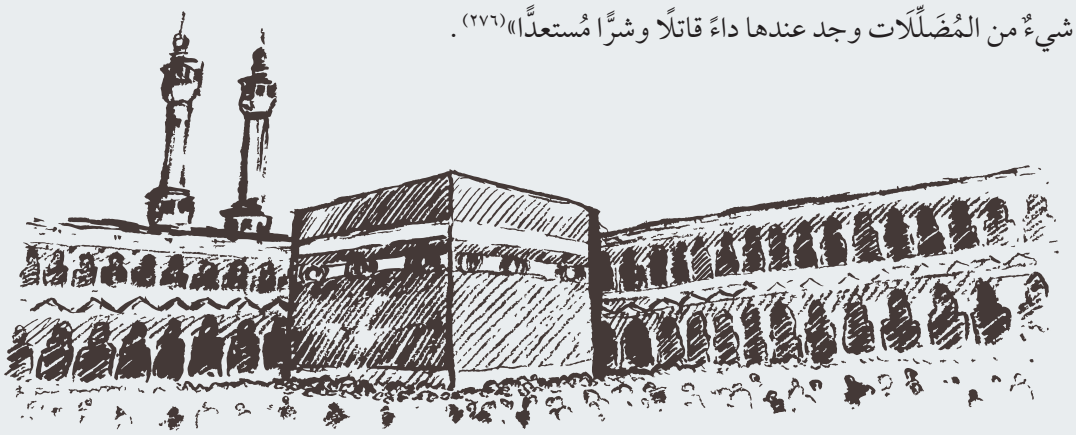

٣ وذلك بأن يبيع الإنسانُ دينَه في تلك الفتن نظيرَ ثَمَنٍ حقيرٍ من أثمان الدنيا، سواءً كان مالًا أم منصبًا أم غير ذلك من متاع الدنيا الزائل.

---

(٢٧٣) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢٧٤) رواه مسلم (٢٩٤٨).

(٢٧٥) رواه الترمذي (٢٢٦٠).

(٢٧٦) «الإفصاح عن معاني الصحاح» لابن هبيرة (٨/ ١٦٣).

التَّتبُّع

١ يجدُر بكل مسلم أن يسارع إلى الأعمال الصالحة قبل نزول الفتن التي تَصُدُّ الإنسانَ عن دينه وعبادته، وأن يبادر باغتنام الأوقات والفُرَص في طاعة اللهِ، والاجتهادِ في أعمالِ الخيرِ والبِرِّ عند التمكُّنِ منها قَبْلَ هجومِ الموانع.

٢ تَعَرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدة؛ فإذا بادرت بالأعمال الصالحة في فراغك وصحتك ورشدك، عصمك الله تعالى من الفتن والابتلاءات.

٣ على المسلم أن يُكثِر من سؤال الله تعالى أن يُثَبِّته على دينه، وألَّا يُعَرِّضَ قلبَه للفتن، وقد كان النبيُّ ﷺ يُكثِرُ من قول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ»(٢٧٧).

٤ على المسلم أن يحفظ الله في الرخاء والأمن حتى يحفظه الله في الشدة والفتن.

٥ الدِّينُ أغلى ما في الوجود، وقد حرَص الرسل والأنبياءُ صلوات الله عليهم وأتباعُهم إلى الدعوة إليه والتضحية من أجله، وتحمَّلُوا في سبيله الطَّردَ والحصارَ والتكذيبَ والإيذاءَ، فإياك أن تجعَله ثمنًا لعرض الدنيا الزائل.

قال الشاعر:

فَبادِرْ إِذَا ما دَامَ في العُمْرِ فُسْحَةٌ ... وَعَدْلُكَ مقْبُولٌ وصَرفُكَ قَيِّمُ
وَجُدَّ وَسَارِعْ واغْتَنِمْ زَمنَ الصِّبَا ... ففي زَمَنِ الإمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
وَسِرْ مُسْرِعًا فالموتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا ... وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمُ

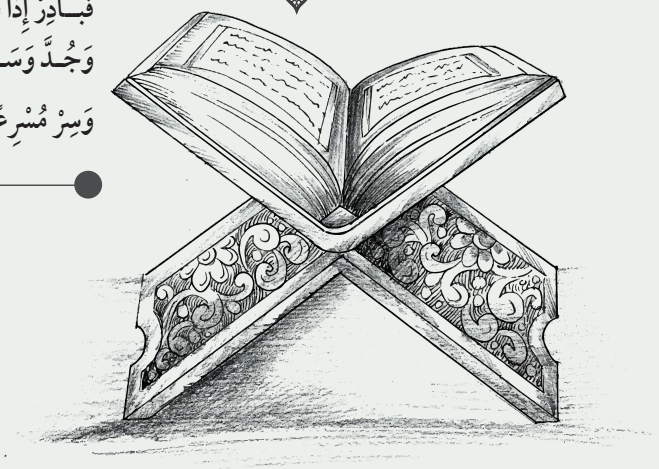

(٢٧٧) رواه أحمد (١٢١٠٧)، والترمذيُّ (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤).